**"الثلج الذي أحرق القلب"**

 – قصة مستوحاة من سيرة الشهيد ابو مهدي المهندس ( مهندس الانتصار )

كانت ليلة شتوية شديدة البرودة. الريح تنحت وجوه الجدران وتطرق نوافذ المدينة المتعبة. الثلج يهوي خفيفًا كرماد صلاة قديمة، يغطي الأرصفة والسقوف والساحات التي مرّ بها ذات يوم الحاج أبو مهدي المهندس الذي ما عرف الهدوء منذ أن تفتحت عيناه على ظلال وطنه المحاصر بين العدو والتكفير.

لم يكن نائمًا، وإن بدا كذلك. رأسه المسند على نافذة مكتبه الصامت، وعيناه نصف مغلقتين، كأنهما لا تريدان رؤية المزيد من الخذلان. كان الأرق لا يرحمه، يتسلل من كل زاوية في جسده المنهك، وما بين كل نبضة وأخرى، تعبره صور: صرخات.

العذارى في السجون .في الأزقة في الجامعات وحوش كواسر تنهش الأجساد الهزيلة وطيف المقاومين في الأهوار، دماء أصدقائه في شوارع بغداد، صور الشهداء الذين مرّ على أجسادهم ليشد على أكفهم وعده الصامت.

نهض فجأة، كأنما سمع نداءً لا يسمعه سواه، وانطلق يحمل فانوسه القديم من الطابق العلوي في بيتٍ قديم مطل على ضفة دجلة. كان الضوء في فانوسه يتراقص ويخفت، كما كان قلبه يتماسك وينكسر. خرج دون أن يلتفت إلى الخلف، متوشحًا سترته العسكرية وقدماه تتركان أثرًا ثقيلاً في الثلج. لم يكن يهرب من أحد، بل كان يذهب إلى وعدٍ لطالما تأهب له.

توقف عند البركة الصغيرة في حديقة المنزل، تأمل انعكاس وجهه فيها. لم يرَ إلا ظلاً يشبهه، مرهقًا، صامتًا، تتقاطع في عينيه جبهات الجنوب، وطفولة البصرة، وكركرة اطفال اربيل. وزغاريد نساء الانبار ونداءات قاسم سليماني. في السماء، كانت هناك نجمة لا تزال تقاوم السحاب، تلمع كما يلمع اسم الحسين(ع) في قلب عاشق لا يُساوم.

كأنه يعرف. أن الليلة ليست كسابقاتها. لذلك حين سمع وقع الأقدام خلفه، لم يندهش. لم يسأل من أنتم؟ بل قال كما يقول من ينتظر على أهبة السَّفر: "هل حان الوقت؟"

تقدمت نحوه قافلة صامتة، رجال بعمائم نورانية، وجوههم تشعّ طمأنينة. أومأ له أحدهم، فتبسم. ومضى معهم... لم يشعر بالخوف، بل بدا كمن يستعيد نفسه. عبروا ساحة المطار، كان الظلام يثقل الهواء، لكن في عينيه كان فجر.

وفي تلك اللحظة، شقّت السماء نارٌ، ولم يصرخ.

كان يعلم أن الجسد سيحترق، لكن الاسم لن يُمحى.

وحين عاد إلى وعيه ـ أو هكذا خُيّل إليه ـ وجد نفسه أمام خيمة بيضاء منصوبة وسط روضة غريبة الرائحة، كأنها من زهرٍ لم يعرفه من قبل. رأى سيدات بعباءات سود، ورجالاً حفاة، وأطفالًا يوزعون الماء على الزائرين.

اقترب طفلٌ منه، قدم له كوبًا من الماء وقال: "اشرب، على حب الحسين".

وقبل أن يلامس الكوب شفتيه، خرجت من بين الصفوف طفلة صغيرة، وجهها يشع نورًا وعينها مغسولة بالعطش. سألته: "على حب من تسقي هذا الماء؟"

فقال هامسًا: "على حب الإمام الحسين".

فقالت: "أبي... أنت تسقي الماء على حب أبي؟!"

فوقع على ركبتيه، دفن وجهه في التراب، وبكى... لا من حزن، بل من يقين.

رفع بصره، فإذا بالسيدة الزهراء ع واقفة على يمين الخيمة، تُشرف على استقبال القادمين، تبتسم له، وتشير إلى كاتب النور: "سجّلوا... هذا خادم الحسين، جبل في جسم رجل أشيب الرأس كأن الشتاء حل ... من جيل الرجال الذين لا يتكررون".

دوى الأذان فجأة في أذنه:

"حيّ على خير العمل"

استيقظ.

كان ما يزال في بيته، لكنه سمع الطرق على الباب، فنهض، فتح، كان رفاقه هناك.

قالوا: "حان وقت السفر إلى المطار."

توضأ.

ألقى نظرة أخيرة على فانوسه الذي انطفأ، وابتسم.

**أريج الشهادة.**

كانت البصرة في صباه تحلم بالمطر، وهو كان يحلم بالحرية.

كان الفتى ابو مهدي المهندس، ابن النهر والتراب، لا يلعب كأقرانه، بل يمشي وحيدًا على ضفة شط العرب، يطيل النظر في المدى، كما لو أنه يبحث عن وطنٍ آخر في الأفق، وطن لم تُدنّسه المعتقلات ولا تكتبُ فيه الطغاة أسماءهم على جدران المدارس.

حين شبّ، اختطفه همُّ العراق كما تُختطف الأرواح العطشى في الصحراء، فانخرط في الكلية التكنولوجية، ثم في العمل السياسي السري، مطاردًا في الأزقة، مطلوبًا في كل قائمة أمنية.

لم يكن يخاف، بل كان وجهه يحتفظ بسكون عميق، أشبه بسكون من يعرف أن موته آتٍ، لكنه قرر أن يستقبله واقفًا.

مرت السنوات كالسكاكين.

هرب إلى المنفى، ولكنه لم يتخلَّ عن وطنه.

في طهران، لم يتعلّم لغةً جديدة، بل علّم الفارسية كيف تُلفظ بالعربية دموع كربلاء.

أسّس كتائب، درّب رجالًا، بنى جسورًا بين المعاني والبندقية، حتى صار اسمه في الفجرات السرّية للجنوب العراقي لا يُهمس إلا بإجلال: "المهندس." جاء الغزو الأمريكي، فعاد، لا كلاجئ بل كقائد.

كان لا يظهر إلا حين تستدعيه الحاجة، وكان يحمل خريطة العراق في قلبه، لا في حقيبته. لم يكن له مكتب، بل سواتر.

لم يكن له عرش، بل مقبرة يُهيّئها لنفسه في كل ساحة معركة. ثم جاء الطاعون الأسود: داعش.

فوقف الرجل العجوز بكتفه المنحني، ليقول كلمته: "نحن لها."

لم يرفع صوته يومًا، ولكن الجبهات كانت تنصت إذا قال.

لم يكن يحمل رتبة، ولكن القلوب كانت تسير خلفه دون أمر.

كان ظلًّا يسبق الحاج قاسم سليماني، وكان الاثنان يلتقيان على حبٍ مشترك: أن يُكتب اسمهما حيث تنتهي رائحة الدم ويبدأ الأذان.

وفي تلك الليلة... كان الشتاء شديد البرودة.

جلس المهندس على سجادته الصغيرة، يتأمل فانوسًا صغيرًا في داره البغدادية. لم ينم. الأرق كان رفيقه منذ سنوات.

كان يحسّ أن الموعد قد اقترب، وأن الزمن هذه المرة لا يمنحه فسحة ليرتب وصيته.

قرأ الزيارة، وهمس بأسماء أصحابه، وغسل قلبه بالدعاء. ثم اتصلوا به: "الحاج قاسم سيصل الليلة."

في المطار، كانت السماء مكتظة بالغيوم، والطائرات المسيرة لا تُرى.

اقتربت السيارة من البوابة. دقائق فقط، ثم...

نار لا تُشبه نار الأرض.

احترق الجسد، ولكن بقي الخاتم في إصبعه شاهداً.

بقي نصف ابتسامةٍ على محياه الذي لم تُدركه شظايا، كما لو أن ملك الموت لم يستطع أن يمحو ملامح الرضا.

استيقظ في مكان لا يشبه الدنيا.

كان في ساحة واسعة، كأنها روضة خالدة.

خيام بيض، رايات سود، وماء يسيل من نهر غير منظور.

خرجت طفلة صغيرة، قالت له: "على حب من تقدم هذا الماء؟" قال: "على حب بطل العلقمي."

قالت: "أنا زينب. و هذا أخي، وأنت تسقي الماء على حب أخي. وكافلي؟"

فأجهش بالبكاء، وانكفأ على وجهه، وشعر بتراب الجنّة تحت جبينه. رفع بصره... فإذا بالسيدة الزهراء ع تُومئ إليه وتقول

"لقد أوفى... فأدخلوه مدائن الصدّيقين."

كان قاسم سليماني واقفًا ينتظره، ومعه رجال من زمن الحرب الأولى.

اقتربوا منه، عانقوه، وقالوا له: "تأخرت قليلاً... لكنك وصلت."

فأجابهم بصوته الهادئ:

"لم أتأخر... كنت فقط أُرتب المضيف."

السيرة الذاتية  للباحث



الاسم: كريم عذاب لفته الزاملي

رقم الهاتف/ 07803109144

almwswysydkrymalmwswy@gmail.com الايميل

التحصيل الدراسي: بكالوريوس لغة عربية.

.في جامعة واسط /كلية التربية الأساسية في العزيزية.

العنوان: واسط / قضاء النعمانية مدينة شيخ الشهداء سيد قاسم شبر(قدست نفسة الزكية )

التولد: ١٩٧٣

اهم النشاطات الادبية

١ عمل مشترك مع الكاتبة الجزائرية/نوال السلماني .

٢ تأليف كتاب عن سيرة الامام علي ع بعنوان(مازلت مظلوما) قيد طبع وتنقيح

٣تأليف  رواية (يوم القيامة)

قيد تنقيح

٤عمل قصة قصيرة(الى كويت مع تحية) قيد تنقيح

ه الفوز بمقال (الحياة التربوية للمؤلف مهند السهلاني .في ملتقى القمر الثقافي.

٦الفوز بمقال عن (،العقيدة المهدوية) للمؤلف احمد الاشكوري

٧ الفوز ببحث عن (التسامح في فكر السيدة الزهراء ع ) ونشر مجله واسط المحكمة. التابعة لجامعة واسط تحت تسلسل ٦٢.

٨ الفوز ببحث عن سيدة الزهراء ع تحت عنوان

فاطمة الزهراء (آلم وقلم) في مؤتمر الشهادة الثالث عشر،الذي عقد بمركز طيبه الثقافي برعاية جامعة واسط،في نجف الاشرف.

٩ عمل دراسة نقدية مع الدكتورة نضال حسيب فليفل الظالمي. عن رواية الوداع الاخير .للكاتبة الجزائرية /نوال السلماني.